

الأستاذ عبد الحميد الفراهي والعلوم الحديثة

- أ.د. أبو سفيان الإصلاحي¹

كان العلامة حميد الدين الفراهي (1863-1930م) يتصف بكثير من الجهات القرآنية كما له مهارات وخبرات في العلوم والفنون المختلفة، وكان العلامة شبلي النعماني لعب دورًا مهمًا لبناء شخصية الأستاذ الفراهي وتعليمه وتربيته، وقد شهدت علامات الفضل والكمال على شخصيته الفذة في ميادين مختلفة من ترجمة القرآن وتفسيره والأدب العربي والفارسي واللغة الإنجليزية وعلم الكلام والفلسفة والتعليم والتربية، لكن الجانب الأبرز من شخصيته هو شغفه الشديد بالقرآن الكريم ودراساته الأخرى. جعل دراسة القرآن والتدبر فيه شغله الشاغل واعتبره مركزًا لجميع أشغاله العلمية. يبرز هذا الجانب جليًا مما قاله معاصروه لاسيما ممثل لمدرسة شبلي النعماني العلمية السيد سليمان الندوي فيه: "كان الفراهي قد اشتغل ثلاثين سنة طوالًا بفهم القرآن وتدبره وتدرسه، وكان القرآن شغله الشاغل فيه".

رغم هذه الحقيقة أشغال الأستاذ الفراهي التعليمية والتدريسية ونشاطاته في مجال التأليف والتصنيف كانت قد ارتكزت على العلوم الدينية وخاصة على الدراسات القرآنية، وإن العلوم الجديدة والفنون العصرية ما كانت شجرة ممنوعة لديه وإن كان معارضًا شديدًا بأن نعتبرها غاية للحياة بالنسبة إلى تدريس العلوم الدينية الأساسية، وكانت وجهة نظره نحو العلوم والفنون أن العلم هو علم القرآن الكريم في الحقيقة وإن سائر العلوم تنمو من جذره فليجعل الطلاب هذا الكتاب هدفًا حقيقيًا لحياتهم وتدرس العلوم الأخرى كوسيلة للحصول على العلم الحقيقي وتستخدم لنشر العلم القرآني فكان الأستاذ حميد الدين الفراهي يعتبر جميع العلوم لازمة ومفيدة بدون تفريق بين القديم والجديد، كان يظن أن

¹ بروفييسور، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، الهند

العلوم القديمة والجديدة تكون مساعدة لنا في فهم معاني القرآن ومفاهيمه وفي هذا الزمن الراهن قد استفاد الكتاب الغربيون من خرائته ومعارفه.

يتجلى من دراسة حياة الأستاذ الفراهي التعليمية أنه كان ملتقى جميلاً لتيار التعليم (القديم والجديد) ومن الصعب أن نقرر أنه عين أولاً مراحل تعليمه المختلفة وقضاها حسب برنامجه رويداً رويداً ولكن لا يمكن أن ينكر أنه اهتم بالانتفاع من الطريقتين القديم والجديد واستفاد من النظام التعليمي الجديد مع الفراغ من مقررات التعليم الرائجة في النظام التعليمي الإسلامي القديم ومما يثير العجب أن تعليم الأستاذ الفراهي الشرقي تم بيد الأساتذة الذين كانوا متبحرين في العلوم المختلفة على طريق فردي حسب ذلك العصر بينما كانت دراسة العلوم الجديدة رهين التعليم الرسمي للمدرسة والكلية والجامعة إلى حد كبير. تلقى الأستاذ الفراهي التعليم الابتدائي للغة الفارسية من الأستاذ مهدي حسن الجتاوري بعد الفراغ من تجويد القرآن الكريم وحفظه واستفاد من ذي قرباه العلامة شبلي النعماني في ميدان اللغة العربية وآدابه بالإضافة إلى اللغة الفارسية وفي نفس المرحلة أنه سعد بمرافقة العالم الممتاز وأستاذ العلامة شبلي النعماني الأستاذ فاروق الجرياكوتي فتجلت مؤهلاته العلمية، وبالإضافة إلى الاستفادة بالشخصية محلياً سافر الأستاذ الفراهي لحصول العلم حسب المسلمين القدامى وحضر دروس الأستاذ عبد الحي الفرنجي محلي مدة في لکناؤ واستفاد منه في ميدان الفقه الإسلامي خصوصاً. وأخيراً ذهب إلى لاهور لإكمال مقررات الأدب العربي من الأستاذ فيض الحسن السهارنفوري وهكذا بعد التمهّر في الأدب الفارسي والعربي والعلوم الدينية لفت الأستاذ الفراهي عنايته بالعلوم الجديدة وبدأ يتعلم اللغة الإنجليزية وكان تعلم اللغة الإنجليزية إذ ذاك يعتبر كفضلاً كما قال الأستاذ السيد سليمان الندوي. وبعد إلمام باللغة الإنجليزية قضى مراحل مختلفة للتعليم الجديد على طريق منظم ونجح في امتحانات المدرسة الثانوية أولاً فالمدرسة المتوسطة وتلك من مدرسة كرنل كنج، إله آباد ثم التحق بالكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية (M.A.O. College) وأكمل مقررات البكالوريوس بها سنة 1895م وكانت هذه الكلية تابعة في ذلك العصر

لجامعة إله آباد- وكانت الامتحانات تنظم من قبل جامعة إله آباد، يذكر عامة أن الأستاذ الفراهي أحرز شهادة البكالوريوس من جامعة إله آباد، ساحت للأستاذ الفراهي الفرصة للحصول على العلوم الجديدة رسميًا وغير رسمي خلال قيامه بعلي جراه في ذلك العصر وجب على كل طالب أن يختار إحدى اللغتين؛ العربية والفارسية لأنها لازمة لجميع الطلبة- لكن الأستاذ الفراهي كان متقنًا فيهما من قبل، لذلك استثنى من تلك الحصة وبذلك ساحت له فرصة للاشتغال بالمواد الأخرى، اعتنى هناك بالحصول على اللغة الإنجليزية والفلسفة الجديدة اعتناء بالغًا وفي تلك الأيام كان عالم الفلسفة المعروف والمستشرق الممتاز آرنولد من أساتذة الكلية، فاستفاد الأستاذ الفراهي منه ونشأت فيه رغبة في الفلسفة الجديدة من تدريسه ومباحثه العلمية وكان الأستاذ الفراهي يريد أن يلتحق بالمجستير بالإضافة إلى البكالوريوس في القانون ولكن لم يستطع أن يحضر الامتحان في أي منهما رغم استعداداه. لذلك يمكن أن يقال أن الأستاذ كان يحمل موهبة جيدة في اللغة الإنجليزية مع تكميل البكالوريوس في الآداب. يدل على ذلك اختيار الأستاذ آرنولد إياه لترجمة كتاب حول موضوع قواعد اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية سنة 1896م كما اتضحت هذه الناحية من رسالة للعلامة شبلي النعماني، وبالإضافة إلى ذلك حينما وضع لورد كرزن نائب ملك بريطانيا في الهند برنامجًا لسفره إلى سواحل العرب وخليج فارس سنة 1913م لزيارة رؤساء وسادات العرب، احتاج إلى مترجم يرافق الوفد ويتمهر في اللغتين العربية والإنجليزية فاختير الأستاذ الفراهي لهذا العمل ممثلًا له أمام العرب أيضًا، والأستاذ الفراهي لم يكن راضيًا عن أداء هذه الخدمة لأجل طبيعته الخاصة المائلة إلى التقوى والانعزال عن الناس ولكن قام بهذا العمل على إلحاح من العلامة شبلي النعماني.

كان الأستاذ الفراهي بدأ التفكير والتدبر في القرآن الكريم منذ تعلمه في علي جراه، ثم بدأ التصنيف والتأليف مع المشاغل التدريسية أيضًا حول هذا الموضوع، وهذه المشاغل استمرت في العثور على العلوم التي كان يعدها مساعدة ومعاونة في دراساته وبحوثه على سبيل المثال حينما كان من (أوائل 1907م إلى شهر مايو

العدد الخاص مجلة الهند

1908م) يعمل كأستاذ مساعد للعربية من كلية ايم- اي- او- وتعلم اللغة العبرانية من رئيس قسمه العالم الألماني الأستاذ جوزف هارويز وأنشأ فيها موهبة فائقة في فترة وجيزة، حتى جعل يستفيد من الكتب العبرانية مباشرة كما يتضح جلياً من دراسة مصنفاته العديدة في التفسير وعلوم القرآن.

ليس الهدف من هذه التفاصيل ادعاء أن الأستاذ الفراهي كان أول عالم هندي حصل على العلوم القديمة والجديدة وقدم نموذجاً جيداً للجمع بين التعليم الشرقي والتعليم الغربي بل المقصود إيضاح أنه ناول الدراسة الجديدة حسب حاجته وعنايته بالإضافة إلى شغفه الخاص بالعلوم الدينية والأهم من ذلك أنه استخدم مواهبه هذه في دراساته الدينية والعلمية وخاصة في ترويج علوم القرآن وتطويرها كما يظهر مما يلي:

أما إلمامه باللغة الإنجليزية فقد وسع نطاق دراساته وبحوثه باستخدامها واستفاد من كتابات الباحثين للآداب ناقداً خلال تأليفاته في مختلف المواضيع القرآنية. درس معجم الكتاب المقدس ودائرة المعارف أيضاً بالإضافة إلى كتب بعض الجغرافيين خاصة أثناء تحقيقه للمواضع التاريخية المذكورة في القرآن الكريم، وقد صنف رسالة في الرد على عقيدة الشفاعة والكفارة للنصارى ولا توجد هذه الرسالة إلى الآن. وذكرها السيد سليمان الندوي في مقدمته على الكتاب "الإيمان في أقسام القرآن" للفراهي وفي ترجمته يوجد أن إنجليزا أسلمت على يد الأستاذ الفراهي سنة 1913م، لايمكن أن ينكر بإمكان مساعيه التبليغية بهذه اللغة، ولا يكون غير ملائم أن يذكر بعض من المشاريع الخطيرة المتعلقة بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية وترجمة بعض الكتب الإنجليزية القيمة إلى اللغة الأردية، وفي أوائل القرن العشرين مست الحاجة إلى ترجمة للقرآن موثوق بها إلى اللغة الإنجليزية لاستخدامها في نشر الإسلام وتبليغه واستفاد بالمتقنين الجدد من المسلمين الذين لهم خبرات واسعة في اللغة الإنجليزية وإن جميع تراجم القرآن الكريم باللغة الإنجليزية إلى ذلك الوقت ترجمها الإنجليز، فبذلك عرض العلامة شبلي النعماني اقتراح إعداد ترجمة إنجليزية

للقرآن الكريم في حفلة ندوة العلماء السنوية التي انعقدت بدهلي، في (مارس 1910م) فهذا الاقتراح ناول قبولاً عاماً من قبل المساهمين فيها فمست الحاجة إلى المثقفين المسلمين الذين يحضون بذوق خاص للقرآن الكريم مع المهارة في اللغتين العربية والإنجليزية، تكونت لذلك لجنة تشتمل على الأستاذ الفراهي والنواب عماد الملك من حيدر آباد والأستاذ محمد صالح من بهاولپور وتقرر أن النواب المحترم يترجم أولاً ويقوم الآخرون بإصلاحها وأكمل النواب المحترم الترجمة إلى ستة عشر جزءاً ثم حينما انتقل الأستاذ الفراهي إلى حيدرآباد كعميد دار العلوم فقام النواب المحترم بإصلاح مع الأستاذ الفراهي على ترجمة أربعة أجزاء، لكن لما رجع الأستاذ الفراهي من هناك سنة 1907م لم يستطع النواب أن يستمر في عمله وحيداً لأجل مرضه وضعفه، حتى توفي سنة 1926م، لا نعلم ما لقيت هذه المسودة المصححة وفي رواية أخرى أنه اقترح ترجمة إنجليزية أخرى للقرآن الكريم في أمانة بوفال فقدّم اسم الأستاذ الفراهي لهذا العمل أيضاً، والمشروع الثاني الأهم للترجمة الذي انتفى إليه الأستاذ الفراهي، كان مشروع نقل مصنفات اللغة الإنجليزية المفيدة إلى اللغة الأردية تحت إشراف لجنة المترجمين التي أسّست في علي جراه في سنة 1907م، كان هدفها أن يتعرف المسلمون على منتجات أوروبا العلمية ويستفيدون منها، كان لها اثنا عشر عضواً في ديسمبر 1907م واختير الأستاذ الفراهي والأستاذ وحيد الدين سليم رئيس التحرير لها، بالإضافة إلى تصحيح الترجمة وإصلاحها كان عليهما أن يعدّا معجماً لتوضيح للمصطلحات الإنجليزية العلمية إلى اللغة الأردية وتوفير بدائلها في اللغة الأردية، بالإضافة إلى ذلك حينما ابتدئ عمل إعداد المقررات الدراسية للجامعة العثمانية بحيدرآباد سنة 1917م فأسّست لجنة لنقل المقررات الدراسية باللغة الإنجليزية إلى اللغة الأردية ونقل المصطلحات العلمية إلى اللغة الأردية وكان الأستاذ الفراهي عضواً لها وأخدم معرفته للغة الإنجليزية في أداء وظائفها، بالإضافة إلى ذلك ترجم الحكايات الناصحة للحكيم آصف من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، وهذا الكتاب أصبح جزءاً لمقررات المدارس الإسلامية المختلفة.